

التربية المتحفية (Museum education)

د. لطيفة الكندري

أستاذ مشارك في كلية التربية الأساسية

ومديرة المركز الإقليمي للطفولة والأمومة

وسائل التربية لا حصر لها وكلما خطت الحركة التعليمية خطوات ثابتة نحو التنويع في التدريس وإضافة عنصر المرح وإذكاء روح التشويق زادت الفاعلية التربوية لمراكز التوجيه. ولقد أضحت المتاحف التاريخية والطبيعية والعلمية والفنية والموسيقية من مصادر تربية الناشئة والراشدين وترقية أذواقهم وتوسيع آفاقهم. توفر المتاحف بيئة فكرية جاذبة لا سيما للناشئة فتنبى عقولهم وتروي عطشهم في الاستكشاف وتمهد لهم الطريق في اتجاه التفكير الصحيح والولاء للبيئة التي ينتمون إليها. إن المتاحف الوطنية اليوم قيمة حضارية تعرف الصغار والكبار بذخائر الماضي فضلا عن النفائس الحضارية، والإبداعات الثقافية، واللوحات الفنية، والآثار التاريخية.

تشير المراجع الأكاديمية إلى أن المتاحف منذ بداياتها في الولايات المتحدة لم تقتنر بالعلم أو الثقافة والبحث والدراسة مثلما ارتبطت بتعزيز الديمقراطية وبذلك ارتبطت التربية المتحفية بترسيخ هوية الوطن. في نهاية القرن التاسع عشر ذهب المتخصصون في نظريات التعلم إلى أن التربية الحديثة يجب أن تتخذ من المتاحف وغيرها مؤسسات تعليمية فاعلم ليس في الجامعة والمدارس والكتب فقط بل هناك مصادر أخرى في غاية الثراء الثقافي غير الكتاب المدرسي.

قام جون كوتن دانا (John Cotton Dana) - المتخصص بعلم المكتبات - بالتركيز على المتاحف كأدوات لنشر الثقافة العامة للمواطنين. وتشير نتائج الدراسات الحديثة إلى أن المتاحف لا توفر مجرد مادة تعليمية ثرية للأسرة بل أيضا توفر مساعدة مباشرة للجهود المدرسية على حد سواء. إن جهود جون كوتن دانا (1856-1929) التربوية مرموقة في عالم المكتبات حيث ساهم في ازدهارها لا سيما لجذب الأطفال نحو محتوياتها كما أن جهوده في التربية المتحفية لا تقل أهمية عن إسهاماته الأخرى.

وفي الاتجاه نفسه، أصبحت قضية إنشاء متاحف للأطفال ذات منافع كثيرة ولقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء أول متحف للأطفال في نيويورك في العام 1899 م. والتربية المتحفية للطفل تقوم على فلسفة "أنا أسمع فأنسى، وأرى فأندكر، وأعمل فأفهم". لقد أصبحت التربية المتحفية للطفل قضية عربية لها العديد من الأهداف من مثل تأكيد الهوية والأصول الثقافية للطفل العربي. وهكذا تصبح المتاحف ذات أهداف تربوية وليست ترويجية تثقيفية فقط. وتشير المراجع التربوية إلى أن من أقدم المتاحف المدرسية متحف مدرسي أقيم في ميزوري في أمريكا في العام

1905 م وكان متحفا متنقلا يحتوى على أفلام وصور فوتوغرافية ومصادر تعليمية (Encyclopedia of education, Vol7, p. 2514).

"لم تعد المتاحف في العصر الحاضر مجرد جدران وخزائن لحفظ بعض الآثار كما كانت في الماضي، وإنما صارت مؤسسات تربوية وعلمية تؤدي دورا بالغ الأهمية في مجال التثقيف والتنوير لكل شرائح وطوائف الأمة وبخاصة الشباب حيث يمكنهم من خلالها معرفة الكثير عن تاريخ وحضارة وطنهم والمراحل التي مر بها والجهود الكبيرة التي قام بها الرواد السابقون في كل مجال من مجالات الحياة، فهي تحتفظ بذاكرة الأمة وما تم إنجازه في الماضي بما يدفعنا لبناء الحاضر والمستقبل. ومادة التربية المتحفية من المواد التربوية التي دخلت حديثا المناهج الدراسية خلال السنوات القليلة الماضية في كثير من دول العالم المتقدم بهدف إكساب الطلاب عادة زيارة المتاحف وآدابها واحترامها كحرم للتاريخ والعلم وتدريبهم على أساليب البحث والاستفادة العلمية منها، إيماناً بدورها الحيوي والمؤثر في تربية النشء وبالأثر الإيجابي لما تعرضه وتقدمه من مواد ومقتنيات علي نفوس وعقول الشباب. مما لا يمكن تحقيقه داخل الصف الدراسي بالوسائل وطرق التدريس التقليدية فزيارة واحدة للمتحف توفر جهدا هائلا من جانب المعلم ولن يستطيع رغم هذا الجهد توصيل المعلومة والانطباع والأثر المنشود في نفوس وعقول هؤلاء النشء بالإضافة للمتعة والجانب الترفيهي الذي توفره زيادة المتاحف وما تخرسه في أعماقهم من قيم كتنعيم الإيمان ببلدهم والانتماء إليها" (متحف التعليم: جمهورية مصر العربية: وزارة التربية والتعليم).

ويظل السؤال الأكبر حول ذلكم التراث العربي الإسلامي العريق إلى أي مدى استفدنا منه في تحذير هويتنا في حس أطفالنا؟ وإلى أي مدى حفظناه من يد النسيان والإهمال؟ وإلى أي مدى نجحنا في تسخير التكنولوجيا الرقمية في خدمة تراثنا؟ وأخيرا هل نجحنا في توظيف ماضيها لاستقبال ما هو آت وهل استطعنا استلهاهم المعاني الرفيعة البانية لدعائم النهضة من ثروتنا التراثية؟ يدرك القاصي والداني أن تراثنا منسي وصدق ول ديورانت حيث يقول في كتابه ذائع الصيت قصة الحضارة "أن آلافاً من المخطوطات العربية في العلوم والآداب والفلسفة لا تزال مخبوءة في مكتبات العالم الإسلامي. ففي اسطنبول وحدها ثلاثون من مكتبات المساجد لم يرَ الضوء من مخطوطاتها إلا النزر اليسير وفي القاهرة ودمشق والموصل وبغداد ودلهي مجموعات ضخمة لم يعنَ أحد حتى بوضع فهرس لها وفي الأسكوريال بالقرب من مدريد مكتبة ضخمة لم يفرغ بعد من إحصاء ما فيها من مخطوطات إسلامية في العلوم والآداب والشريعة والفلسفة. وليس ما نعرفه من ثمار الفكر الإسلامي إلا جزءاً صغيراً مما بقي من تراث المسلمين وليس هذا الجزء الباقي إلا قسماً ضئيلاً مما أثمرته قرائحهم وليس ما أثبتناه في هذه الصحف إلا نقطة من بحر تراثهم. وإذا كشف العلماء عن هذا التراث المنسي

فأكبر ظننا أننا سنضع القرن العاشر من تاريخ الإسلام في الشرق بين العصور الذهبية في تاريخ العقل البشري" (ص، 4643-4644، باختصار).

تقول الكاتبة السعودية ثريا الشهري وعلى المستوى القطري " فكم منا قد زار بالفعل وتعرف على آثار بلاده! وكم من المدارس أخذت على عاتقها وفي سلم أولوياتها تنظيم رحلات طلابية لهذه الآثار... وما مدى ثقافة الآثار وأهمية أحجارها في مفهومنا الحياتي! ما مدى استيعاب أبنائنا وتقبلهم لزيارة آثارهم الوطنية أو آثار البلاد التي يزورونها! ما درجة الشغف العربي عموماً برسالة الرحلات السياحية للتعرف على آثار الأقوام! دائماً ما نسمع عن علماء الآثار الأجانب وبعثاتهم التي تبحث في أرضنا، وكثيراً ما قرأنا عن اسم غربي اكتشف الكنز الفلاني والحفر العلاني، طبعاً لا يخلو الأمر من بعض الأسماء العربية، ولكن الاكتشافات الأهم غالباً ما ارتبطت بجهود هؤلاء الأبعاد، بل وتمويلهم المادي كذلك، فماذا كنا نفعول وأين كنا نبني وهم يحددون الاتجاهات ويرسمون الخطط ويجلبون المعدات ويقومون بالتنقيب ويفوزون بإزاحة الستار عن آثارنا!" (بتصرف).

وتمضى الكاتبة لتسجل لنا حادثة ذات عبر فتقول "وهذا هو الملياردير الأسترالي يوصي قبل وفاته بمبلغ خمسة ملايين دولار للدكتور زاهي حواس رئيس المجلس الأعلى للآثار المصرية تقديراً منه لجهوده الرجل في تنمية العمل الأثري في مصر، وبالرغم من تنازل حواس الرسمي عن كامل المبلغ لتمويل قطاع التربية المتحفية للأطفال ورفع مستوى الوعي الأثري لديهم، والذي هو تصرف لا يقل روعة وتحضراً عن سخاء صاحب المال نفسه. إلا أننا هنا بصدد التعرض للفتنة هذا الإنسان الأجنبي والغريب لرجل لم يعرفه يوماً في حياته، ولربما كل صلته به لا تتعدى بعض كلمات للحواس تحدث فيها عن الآثار وأهميتها، غير أن الفرق بين هؤلاء وبيننا يكمن في كلمة التقدير، والتمثيل العملي لهذا التقدير، ولا أدري لم نشغل في تبني القضايا الخاسرة وتنافس في صرف الأموال على معاركها، وننسى ونتغافل عن الترفع إلى ما هو أسمى وأنفع إنسانياً! (باختصار).

وعلى ضوء ما سبق إirاده، يمكن إنشاء متحف وطني يربط المواطن بدولته وعروبته وتراثه الإسلامي في المؤسسات التربوية من مدارس ومكتبات وكليات وصفحات انترنت. تحتاج مدارسنا وكلياتنا لصالات أو على الأقل غرف واسعة تتضمن نماذج وطنية وإسلامية من تاريخنا المحلي وحضارتنا العربية وذلك عبر صور وأفلام وأشرطة سمعية ومجسمات وعينات تعليمية جذابة تستعرض المخطوطات النادرة، والشخصيات البارزة، والأحداث الهامة والخرائط، والعملات الورقية والمعدنية، والبيئة الطبيعية والرُسوم الجميلة، والآلات والأشكال والصناعات التي ابتدعها السابقون واللاحقون وغيرهم عبر القرون. عرض هذه المجسمات في مكان واحد وبطريقة جاذبة وممتعة عبر وسائل تقنية متنوعة ومتطورة تربط المواطن الصغير بمجد أجداده، وتحتنه على الانتماء لهم والعطاء مثلهم فيسلك سبيلهم ويضيف إلى رصيدهم.

إن المتاحف التعليمية المتجددة (التاريخية - العلمية - البرلمانية-الموسيقية...) يمكن أن تكون في قاعاتها أجهزة الحاسب الآلي ليتمكن الزائر من الاتصال بالمتاحف العالمية وبممارسة المواطنة الرقمية .

يقول د. عبدالعظيم كرمي¹ أن التعلم عن طريق المتاحف ، عملية تفاعل متبادل ومعقد وأن تعريف مفهوم ((التعلم عن طريق المتاحف)) يتوقف على نظريات التعلم في حقل علم النفس ويمكن تقصي جذوره العلمية والنظرية في مفاهيم أخرى تكون أكثر اتساعا. وأشار الباحثون إلى فهرس لخصائص مفهوم تعلم الأشخاص إثر زيارة المتاحف ، وهي :

تضع المتاحف ، الموضوعات والمضامين التعليمية في متناول الأشخاص وبالتالي تجعل الارتباط بها ذهنيا أمرا ممكنا . وتضم مختلف الوقائع والموضوعات والمشاعر إلى جانب بعض.

تؤثر زيارة المتاحف في قيم الأشخاص ووجهات نظرهم .

للتعلم عن طريق المتاحف دور في ترقية الهوية الثقافية والاجتماعية والأسرية للأشخاص .

تسمى المتاحف رغبات الرواد وميولهم وتمنحهم الثقة بالنفس وتحثهم كذلك فيما يخص استزادة التعلم مستقبليا وخيارات الحياة .

يؤثر التعلم عن طريق المتاحف في اتجاهات الرواد وأفكارهم حول العالم المحيط بهم .

ويشير د. عبدالعظيم كرمي إلى مجالات التعلم في المتاحف ويقدم الجدول التالي:

المجال المعرفي	اكتساب العلوم الجديدة ، دعم العلوم والمعلومات السابقة عن طريق إعادة الخبرات المحسوسة والمباشرة ، دمج مفهوم النص مع المعلومات السابقة ، تعلم أسلوب الاستناد إلى المعلومات الحالية عن طريق الاختبار ، ربط المفاهيم مع بعض واستبانة حالات التشابه (المقارنة والقياس) .
المجال العاطفي	استنهاض المبادئ والرؤى والقيم ، إيجاء الرغبة وإثارة دافع الاستطلاع وإيجاء الانبهار والدهشة .
المجال الاجتماعي	التنامي المتزامن للمهارات الأدائية نمو الارتباطات دعم الآخرين للتعلم ، تعلم أسلوب استزادة استيعاب آراء الغير .
نمو المهارات	التنبؤ ، الاستنباط (الاستنتاج) حل القضايا ، التحقيق والدراسة ، المشاهدة

¹ د. عبدالعظيم كرمي (1427هـ - 2007م) مدرسة المتاحف: مدخل إلى نظام التعلم الناشط. الطبعة الأولى. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان: بيروت. صفحة (41-42 ، 94). (انظر أيضا لأستاذ الدكتور مجدي عزيز إبراهيم في كتابه موسوعة التدريس ، ج5، ص 1754، د. محمد السيد حلاوة ، 2003م، تثقيف الطفل بين المكتبة والمتحف، مصر الدار العالمية) وأيضا انظر:

museum. (2009). Encyclopædia Britannica. *Encyclopædia Britannica 2009 Student and Home Edition.* Chicago: Encyclopædia Britannica.

الفكرية والفيزيائية (، التقدير (التقييم)، التصنيف ، الاستناد إلى نظريات اختبار الكتابة وعرض القصص ، اتخاذ القرارات ، المهارات الفيزيائية والجسمية ، التمرس والمهارة ، المهارات الفنية (الأعمال اليدوية وغيرها) ، مهارات التثمين والانتقاد ، المهارات الحاسوبية والأدبية ، مهارات ذات صلة بتقنية المعلومات .	
تعميق تقبل الذات والانتفاع الذاتي ، إثارة دافع أكبر للتحقيق والدراسة ، دمج الاستطلاع والتفكير مع الخبرات الممتعة ، تعميق الشعور بالهوية وبقيمة الذات.	المجال الفردي

وعند مراجعة الأدبيات التربوية لمعرفة منافع التربية المتحفية نستنتج الفوائد التالية:

1. تساعد التربية المتحفية على توضيح الأفكار والمفاهيم ذات الصلة بالثقافة والفنون والآداب.
2. تحفظ جهود المجتمع في الإفادة من البيئة.
3. تجذب انتباه وميول الزوار.
4. تعمل على تثبيت الموضوعات في عقل الزائر.
5. تسلط الضوء على الفترات التاريخية وتساعد على استلهاهم العبر.
6. توسع آفاق المتعلم علميا وفي شتى العلوم والمعارف والفنون.
7. تبرز الإسهامات الثقافية للمجتمعات.
8. توجد الدافعية للانجاز لدى الزائر.
9. تشجع البحث عن الحقائق وتفتح مجالات جديدة للعلماء.
10. تجدد طرق التعلم وتنوع وسائل التربية.
11. تحفيز الأطفال للاستكشاف والتفاعل مع البيئة وإعمال العقل.
12. تحسين جودة الحياة والاستمتاع بها.

والتربية المتحفية في غاية الأهمية للجميع لا سيما الأطفال فتلمي فيهم قيم الجمال والنقد والتأمل والتفكير والمقارنة والتحليل والتفسير وطائفة أخرى من الوظائف العقلية والنفسية والثقافية تفوق الحصر.

ومن المحاولات اللافتة للنظر في عملية تسخير المتحف لتثقيف الطفل متحف يوني باكن Junibacken في استوكهولم عاصمة السويد وهذا المتحف يركز على عالم القصص ودنيا الطفولة والشخصيات المشهورة في كتب الأطفال. وعن الفلسفة التربوية لذلك المتحف يحدثنا عبدالحكم أحمد الخزامي (2007م) في كتابه الأطفال وحقهم في

التربية والتعليم فيقول أن متحف يوبي باكن يقوم تنظيمها الفعلي على أساس نظرية الذكاء المتعدد لهورد غاردنر وذلك لتنشيط الذكاء المتعدد للصبي الصغار (152).

إن المباشرة، والوقوف على المعالم السياحية والأثرية بشكل مباشر، هو الخليق بالحصول على أكبر قدر من الثقل المعرفي بتلك المعرفة الحية. بيد مجرد المشاهدة والمرور مرورا عابرا على المعالم السياحية والأثرية لا تكون له فائدة تذكر بل الفائدة المثيرة في تلك المعرفة على المبنية على أسس من المعرفة المسبقة. فزيارة معلم سياحي لا بد أن تحرز المعرفة الأساسية المتعلقة به من خلال للاطلاع على الكتب والمنشورات ذات الصلة (أسعد، 1997م، ص 142). إن المتحف عموما والمتاحف الإسلامية اليوم أصبحت معالم معمارية ذات قيمة جمالية رفيعة (Jodidio, 2010, p. 294).

يعمل أمين المتحف والقيّم عليه (Museum curator) عرض المقتنيات وتوفير البيانات عن المعروضات والارشادات التي ترافق العرض (كولينز، وأبراين، 2008م، ص، 389). ويقوم مربّي المتاحف (Museum educator) بتقديم البرامج والإشراف على النشاطات التربوية في المتحف وتحسين التواصل مع المتحف عبر وصل المصادر بالنظرية التربوية والتطبيق كما يقوم بتدريب موظفي المتحف وأساتذة الصفوف وتقييم الفاعلية التربوية.

أهم المراجع

كريمي ، عبدالعظيم (1427هـ - 2007م) مدرسة المتاحف: مدخل إلى نظام التعلم الناشط. الطبعة الأولى. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان: بيروت. إبراهيم، مجدي عزيز (1424هـ - 2004م). موسوعة التدريس. ط1، الأردن: دار المسيرة.

أسعد، يوسف ميخائيل (1997 م). استثمار وقت فراغك. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

كولينز، جون ، وأبراين، نانسي باتريسيا (2008م). قاموس دار العلم-غرينوود للمصطلحات التربوية. ترجمة حنان كسروان. مراجعة الترجمة هالة سنو. ط1، بيروت: دار العلم للملايين. محمد السيد حلاوة (2003م). تثقيف الطفل بين المكتبة والمتحف. مصر الدار العالمية. الكندري، لطيفة حسين (1427 هـ = 2007 م) نحو بناء هوية وطنية للناشئة. ط1، الكويت المركز الإقليمي الطفولة والأمومة.

museum. (2009). Encyclopædia Britannica. *Encyclopædia Britannica 2009 Student and Home Edition.* Chicago: Encyclopædia Britannica.

Jodidio, Philip (2010). *Architecture now! Museums*, Taschen, Italy.